## الفصل السابع

# المطالبة بديمقراطية الغذاء

إن ديمقراطية الغذاء مسألة على قدر كبير من الأهمية في هذا العصر الذي يشهد ديكتاتورية الغذاء، والذي تتحكم فيه حفنة من الشركات العالمية بمورد الغذاء العالمي، ويعيدون تشكيله للوصول إلى الحدود القصوى لأرباحهم وقوتهم. وديموقراطية الغذاء يمكن أن توجد من خلال تكاتف جديد بين الديموقراطية البيئية وحركات الزراعة المستدامة وحركات المزارعين وحركات المستهلكين .

إن الاهتمام الكبير لحركات المواطنين في الشمال والجنوب يؤمِّن تحكماً ديمقراطياً بأنظمة الغذاء، لضمان إنتاج مستدام وسليم، وتوزيع عادل وسهولة في الوصول إلى الغذاء. تتطلب السيطرة الديمقراطية على الغذاء كبح جماح القوة غير المسؤولة للشركات. ويشمل ذلك استبدال نظام «التجارة الحرة» بنظام بيئي عادل لإنتاج وتوزيع الغذاء، تتم في ظله حماية التربة

والمزارعين والمستهلكين.

إن الزراعة الصناعية عموماً، والهندسة الوراثية في الزراعة بالتحديد، تزيدان من إنتاج السلع للسوق عن طريق سلب حصة الطبيعة من التغذية وبزيادة المضادات الحشرية والنباتية والأسمدة الصناعية.

إن إعادة نصيب الطبيعة من التغذية وأصنافها ليس أمراً أخلاقياً وبيئياً حتمياً وحسب، بل هو حيوي للحفاظ على غذاء البشر.

إن نظرة الزراعة الصناعية تفسر الشراكات والتعاون والمساعدة المشتركة على أنها منافسة. فبدلاً من اتخاذ البقر ودود الأرض كمساعدين لنا في إنتاج الغذاء، نراها تجعلهم منافسين لنا في طلب الغذاء. وهكذا فإنها ترى حرمانها حقها في التغذية على انه كسب لصالح التغذية البشرية. وبذلك فإن محصول الحبوب، في التربية يتم على حساب القش ويزداد الغذاء للبشر على حساب الغذاء للبقر ودود الأرض.

إن المطالبة بديمقراطية إنتاج الغذاء، يعني ضمناً المطالبة بحق كل الأصناف في الحصول على حصته من التغذية، ومن خلال هذه الخطوة البيئية المطالبة بحق كل الناس في الطعام بما في ذلك الأجيال المستقبلية. إن ديمقراطية غذاء شاملة هي أسمى أشكال المساواة والديمقراطية، ومثل هذه الديمقراطية يمكن أن تطعمنا بغزارة، لأن الأصناف الأخرى لا تطعم نفسها

على حسابنا، إنها تطعمنا نحن في الوقت الذي تطعم فيه نفسها.

## حركات للزراعة العضوية

إننا نجد أن أفقر الفلاحين في الهند هم من المزارعين العضويين لأنهم لا يستطيعون الحصول على المواد الكيماوية. واليوم تنضم إليهم حركة عضوية متنامية عالمياً تتلافى عن قصد المواد الكيماوية والهندسة الوراثية.

وقد أظهر استبيان في الولايات المتحدة على نطاق الشعب بأكمله، نشر في تشرين الثاني/نوفمبر سنة 1998 من قبل مجلس سلامة الغذاء العالمي، بأن 89٪ من مستهلكي الغذاء الأمريكيين يعتقدون أن سلامة الغذاء قضية وطنية «مهمة جداً» - بل أهم من مكافحة الجريمة. وأن 77٪ يغيرون عاداتهم الغذائية بسبب اهتمامهم بسلامة الغذاء[1]. كما أظهر استطلاع لمجلة التايم نشر في عدد 13 كانون الثاني/يناير 1999، بأن 81٪ من مستهلكي الولايات المتحدة يعتقدون أن الغذاء المهندس وراثياً يجب أن يحمل علامات تدل عليه. وقال 58٪ من المستهلكين أنهم لن يتناولوا أغذية مهندسة وراثياً لو أنها كانت تحمل علامات ملصقة عليها. وفي سنة 1998 تم استهلاك ما يزيد على 5 مليارات دولار كقيمة أغذية عضوية في الولايات المتحدة حيث ينمو سوق الأغذية العضوية بمعدل 25٪ سنوياً.

وفي الهند نجد أن شبكة «أرايز»، وهي الشبكة الوطنية

للزراعة العضوية تعقد دورات على مستوى القرى لدعم المزارعين الراغبين في التوقف عن استعمال الكيماويات. وغالباً ما يشار إلى الزراعة البيئية والعضوية في الهند على أنها «الزراعة غير العنيفة»، لأنها قائمة على التعاطف مع جميع الأصناف وبالتالي على حماية التنوع الحيوي في الزراعة.

وبينما الزراعة العضوية قليلة المدخلات هي خيار رخيص التكلفة، وبالتالي فهي خيار الفقراء، إلا أنها غالباً ما تقدم على أنها «رفاهية الأغنياء»، وهذا غير صحيح. إن رخص الغذاء المنتج صناعياً وغلاء ثمن الأغذية العضوية لا يعكس تكلفة الإنتاج ولكن يعكس الإعانات الباهظة الممنوحة للزراعة الصناعية. ولقد دأبت حركات اتحاد الزراعة العضوية العالمية على العمل نحو ديمقراطية عالمية للزراعة العضوية.

## حركات ضد الهندسة الوراثية

قام الفلاحون في اندرا براديش وكارناتاكا في الهند في تشرين الثاني/نوفمبر من سنة 1998 باقتلاع محاصيل بولغارد مونسانتو في الحقول التجريبية وحرقها. وفي شباط/فبراير سنة 1998 تم قبول قضية تدعو لإنهاء تجارب الهندسة الوراثية وحظر على مستوردات الأغذية المهندسة وراثياً رفعها المهتمون بالبيئة والمزارعون أمام المحكمة العليا في الهند.

وفي بريطانيا بدأت حركة باسم «كرة الثلج الوراثية» في سنة 1998 عندما قامت خمس نساء باقتلاع محاصيل مونسانتو

في أوكسفورد شاير وإزالة المحاصيل المهندسة وراثياً من مواقع التجارب لحماية البيئة.

كما قام تحالف من مجموعات مزارعي المملكة المتحدة ومجموعات المستهلكين ومجموعات التنمية ومجموعات بيئية بتنظيم حملة «لتجميد لمدة خمس سنوات» للهندسة الوراثية في شباط/ فبراير سنة 1999.

وفي سويسرا في سنة 1993 قامت منظمة تدعى «مجموعة العمل السويسرية حول الهندسة الوراثية» بجمع 111,000 توقيع لصالح استفتاء لحظر الهندسة الوراثية. وقامت صناعة التقنية الحيوية بإسناد مهمة إحباط الاستفتاء إلى شركة علاقات عامة مقابل مبلغ 24 مليون دولار، ولكن تم إحباط هذا الاستفتاء في حزيران/ يونيو 1998. لكن الحوار لم ينته بعد، فقد تم تنظيم استفتاء مماثل من قبل غرين بيس وغلوبال 2000 في النمسا.

أما في ألمانيا، فتقود مقاومة الهندسة الوراثية شبكة تدعى «باند» وحركة مبادرة من القواعد تدعى «فود» من «مختبر العلوم الوراثية».

في إيرلندا قامت «جبهة تحرير الأرض الغاليّة» بحفر حقل لمحصول شوندر سكر راوند أب ريدي في مركز أبحاث تيجيز إيرلندا في أوكبورت. ودمر مزارعو «اتحاد بايسان» في فرنسا البذور المهندسة وراثياً في نوفاريتا، ونتيجة لذلك، قررت فرنسا فرض حظر لمدة سنتين على المحاصيل المهجنة وراثياً.

وتشهد أوروبا بكاملها حظراً أو وقفاً للهندسة الوراثية استجابة للضغوط الجماهيرية المتزايدة. ففي تموز/يوليو من سنة 1998 التقى مواطنون من كافة أنحاء العالم في سينت لويس، بولاية ميسوري حيث يوجد المقر الرئيسي لشركة مونسانتو من أجل عقد مؤتمر حول «التدمير الحيوي» وإعلان الاحتجاج على مونسانتو. وأدى هذا التجمع إلى قيام حركة عالمية جديدة للجماهير ضد الشركات العالمية التي تحاول أن تسيطر على أساس حياتنا نفسه.

## أنقذوا البذور

ظهرت محاولة أخرى لاسترجاع ديمقراطية الغذاء، كانت من خلال إنقاذ البذور من السيطرة الهدامة للشركات. فعلى مدى ما يزيد على عقد من الزمن أسس البيئيون والمزارعون حركة لإنقاذ البذور.

وفي الفترات التي انعدمت فيها العدالة وبرزت فيها الهيمنة الخارجية، وذلك عندما كان يُحرم الناس من الحرية الاقتصادية والسياسية، فإن مسألة استعادة هذه الحرية تتطلب عدم تعاون مع القوانين والأنظمة الظالمة. وقد تمثل عدم التعاون السلمي هذا، إزاء الظلم في الهند، بحركة المهاتما غاندي «ساتيا غراها» ومعناها الحرفي الصراع من أجل الحقيقة. وحسب مفهوم غاندي، فإنه لا يمكن للظلم أن يستعبد الناس الذين يعتبرون أن إطاعة القوانين الظالمة أمر لا أخلاقي. وكما ذكر في «هند

سواراج»: «ستبقى العبودية قائمة طالما بقيت الخرافة الداعية لإطاعة القوانين الظالمة. . . وحدها المقاومة السلمية هي القادرة على إزالة هذه الخرافة».

في 5 آذار/مارس سنة 1998، وهي ذكرى دعوة غاندي للدفاع عن الحقيقة، بدأ تحالف مما يزيد على ألفي مجموعة بحركة ضد براءات البذور والنباتات.

إن البذور مصدر حيوي لبقاء الحياة في أي مكان. والبذور هبة فريدة من الطبيعة لا تقدر بثمن. وقد نشأت ونمت واستعملها المزارعون على مدى آلاف السنين لإنتاج الغذاء للناس. ويختار ويدَّخر المزارعون أفضل أنواع البذور من محصول جيد لزراعتها ثانية في الموسم المقبل.

هذه الدورة في اختيار وتوفير وإعادة الزرع تواصلت منذ بداية الزراعة. وكانت حركة «ساتيا غراها» (استخراج الملح باليد من البحر التي بدأها غاندي للاعتماد على الذات)، تمثل رفض الهند التعاون مع قوانين الملح الجائرة. وكانت تعبيراً عن رغبة الهند في الحرية والعدالة. وساتيا غراها تمثل رفضنا قبول استعمار الحياة من خلال براءات الاختراع والتقنيات المنحرفة الفاسدة وتدمير الأمن الغذائي بقواعد التجارة الحرة لمنظمة التجارة العالمية. إنها تعبير عن الرغبة في الحرية لكل الناس والأصناف وتأكيد حقوقنا في الغذاء.

إن هدف «نافدانيا» هو نشر بنوك الحبوب والمبادرات

الزراعية العضوية. ونافدانيا لن تعترف ببراءات الاختراع على الحياة بما فيها براءات البذور. كما تهدف إلى بناء أنظمة غذاء وزراعة خالية من براءات الاختراع والكيماويات ومن الهندسة الوراثية. وهذه الحركة سوف تسترد حريتنا الغذائية بتعزيز شراكتنا مع التنوع الحيوي.

## حملة مونسانتو

نتيجة للوعي الجماهيري على نطاق البلاد بالهندسة الوراثية الذي تجسد في حركة «مونسانتو، غادري الهند» في سنة 1999 تسربت أخبار تجارب الهندسة الوراثية لمونسانتو في الهند إلى الصحافة. وكانت هذه التجارب تجري في 40 موقعاً في تسع ولايات. وبما أن القرارات الزراعية تتخذ من قبل الحكومات الإقليمية، فقد اعترض وزراء زراعة الولايات بأنه لم يتم استشارتهم بشأن التجارب. ولهذا، فقد استباحوا مواقع التجارب، وقام المزارعون على الفور في كارناتاكا واندرا براديش باقتلاع وحرق المحاصيل المهندسة وراثياً.

كما اتخذ المزارعون في إندرا براديش قراراً تمت إجازته من قبل البرلمان الإقليمي، ومارسوا ضغطاً على الحكومة لحظر التجارب. وبعد الاقتلاع الأول الذي قام به المزارعون قامت الحكومة نفسها باقتلاع محصول (بي تي) في مواقع أخرى.

## بناء التحالفات

تقوم الحركة العالمية من أجل ديمقراطية الغذاء ببناء تحالفات كبيرة؛ تحالفات بين علماء المصلحة العامة والشعب، تحالفات بين المنتجين والمستهلكين، وبين الشمال والجنوب. إن التماسك والتنسيق بين المجموعات المختلفة ضروري، لأن الدفعة الموحدة للهندسة الوراثية تثير قضايا الديمقراطية على عدة مستويات.

لقد كان العلماء العاملون في تأثير علم البيئة جزءاً هاماً في هذه الحركة. ففي سنة 1994 قام بريان غودوين وهو عالم أحياء بارز وتيولد إيجزيابر وزير البيئة في أثيوبيا ونيكاتور بيرلاس من الفليبين وأنا شخصياً باقتراح عقد اجتماع للعلماء العاملين على الطرق غير الاختزالية للأحياء. وقد عرضت شبكة العالم الثالث في بينانغ استضافة الاجتماع، كما قام فريق العلماء العامين الذين تجمعوا في بينانغ بلعب دور أساسي في إثارة قضايا بيئية وأخرى تتعلق بالسلامة.

ولولا حركات تضامن العلماء مع المواطنين هذه لكان من الممكن أن تنجح محاولات الصناعة لجعل الحوار يبدو كما لو أنه مستقطب بين «علماء مدركين» «ومواطنين جهلة» أو بين «العقل والعاطفة»، ولكان من الممكن تجاهل الاحتجاجات، ولكان من الممكن استمرار ترويج الكائنات المهندسة وراثياً بطريقة تجارية دون سؤال أو توقف.

إن التكاتف بين المنتجين والمستهلكين ضروري. وحيث إن غالبية الناس في الجنوب هم مزارعون وأن 2٪ فقط من مزارعي العالم في الشمال، فإن الحركات من أجل ديمقراطية الغذاء تتخذ شكل حركات مستهلكين في الشمال مع حركتي المستهلكين والمزارعين في الجنوب.

إن حركاتنا لاستعادة التنوع الحيوي هي أساس جعل النظام الغذائي ديمقراطياً. فمن جهة، فإن رفض الاعتراف بتنوع الحياة كاختراع موحد، وبالتالي ملكية موحدة، هو اعتراف إيجابي بالقيمة الأصلية لكل المخلوقات وقدرتها على تنظيم ذاتها. ومن ناحية أخرى فإن رفض السماح بتخصيص موارد الحياة من خلال براءات، إنما هو دفاع عن الحق في البقاء لثلثي الغالبية التي تعتمد على رأسمال الطبيعة المستثناة من الأسواق بسبب فقرها. كما أنه دفاع عن التنوع الثقافي، طالما أن غالبية الثقافات المتنوعة لا ترى في المخلوقات والنباتات الأخرى «كملكية» وإنما قرابة. هذه الديمقراطية الأوسع للحياة القائمة على ديمقراطية الأرض هي القوة الحقيقية للمقاومة ضد القوة المتوحشة «لصناعة العلوم الإنسانية» التي تدفع بملايين المخلوقات نحو الانقراض وملايين البشر إلى حافة البقاء.

فإذا ما زلنا قادرين على تخيل حرية الغذاء وقادرين على العمل لجعلها حقيقة في حياتنا اليومية، فإننا نكون قد تحدينا ديكتاتورية الغذاء، ونكون قد استعدنا ديمقراطية الغذاء.